5- التحليل على المستوى النصي

تمهيد

تذهب جل البحوث والدراسات اللسانية الحديثة إلى أن ظهور مصطلح لسانيات النص وتحليل الخطاب" كان في منتصف القرن العشرين تقريباً، في أوربا وأمريكا[1]. فهذا العلم إذن حديث النشأة عند الغرب[2]

1- موضوعها:

أكدت هذه البحوث أيضا أن المحور الأساس الذي تدور حوله لسانيات النص هو مصطلح " النص"والذي يتداخل مع مصطلح آخر هو مصطلح "الخطاب" إلى حدّ بعيد يصعب التفريق بينهما[3]. إذن تتخذ لسانيات النص " النص" موضوعا لها تبحث في نظامه اللغوي، والكشف عن وسائل اتساقه وإماطة اللثام عن علاقاته المنطقية والدلالية العميقة، التي تجعل من هذا النص شبكة مترابطة ومتداخلة ومنسجمة البناء، كما تدرس خطط بناء هذا النص، من المؤلف ومشاريعه وعلاقته بالمتلقي مع الحفاظ على دور السياق والوضعيات التي انتج فيها الحدث النصي والقصد التواصلي الذي انتج من أجله. ولما اتخذت لسانيات النص " النص" مجالا لبحثها واجهت اشكالية الاتفاق علة مفهوم واحد له.

1- تحديد المصطلحات:

- **لسانيات النص** تُعرّف بأنها: علم يبحث في أبنية النصوص وصياغاتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة، أما تحليل الخطاب فقد عرّف بأنه كيفية استعمال الناس اللغة أداة للتواصل، وكيف يؤلف المتكلم رسائل لغوية يوجهها إلى المتلقي، فيقوم هذا بمعالجتها لغوياً على نحو خاص لتفسيرها" [4]

أ - تعريف النص:

- **في المعجم العربي**: ورد ت في المعجم الوسيط مادة " نص" كما يلي: (النَّصِيَّةُ:واحدةُ النَّصِيّ والنَّصِيَّةُ البقيَّة، والجمع: نَصِيٌّ، وأَنْصَاءٌ، وأَناصٍ، ورفعه وأظهره، ورفعه وأسنده، وأقعده على المنصة...)[5] أما في لسان العرب فقد جاء ما يلي: (نصص: النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر

فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصت الظبية جيدها: رفعته. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، وقد نصها وانتصت هي والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة)[6] فالاول يعرف النص بأنه يمثل العلو والظهور أي البروز. بينما الثاني يظيف الى الظهور الانتهاء أو البلوغ أقصى الشيء. وهما تعريفان فيهما ايحاء بالمعنى الاصطلاحي. فالنص ربما هو أقصى ما يمكن ان ينتهي إليه التحليل اللساني.

- في المعجم اللاتيني:

إن من المتتبعين[7] لمعاني النص في المعجم الغربي قد أشاروا إلى أنه يحمل دلالة مختلفة تماما لكلمة " نص" الموجود في المعجم العربي، حيث يُلاحَظ أن الأصل اللاتيني لكلمة"Texte" مستمد جذرها من الفعل اللاتيني texere أي نسج وtextus بمعنى نسيج، وقد ترجع إلى الكلمة الإيطالية التي ظهرت في القرن السادس عشر بمعنى محكي، عرض، مكتوب. بذلك يكون النص مرتبطا بالمكتوب، ومعنى تسلسل المحكي، نص.[8]

- في الاصطلاح

اختلف تعريف "النص" لدى اللسانيين الغربيين بحسب المدارس التي انتموا إليها، ولنأخذ مثالين، على ذلك أولهما جون ديبوا(Jean Duboit) الذي يعرفه بكونه" مجموعة من الملفوظات اللسانية القابلة للتحليل فهو عينة من السلوك المكتوب والملفوظ"[9]. أما الآخر فهو برنكر (Brinker) الذي ذهب في تعريفه للنص، بأنه تتابع مترابط من الجمل. والجملة بذلك تعدّ جزءً صغيرا يرمز إلى النص، ويمكن حدّها بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن وصفها على أنها وحدة مستقلة(10)

ب- تعريف الخطاب

- في المعجم العربي: أما **الخطاب** فعرف بأنه " مصدر للفعل (يخاطب، وخاطب)، وقد جاء من كلمة الخَطب أي الأمر أو الشأن، والخطاب هو سبب الشيء، ويقال للمرء ما خطبك؟ أي ما شأنك، ونَصِفُ بعض الحوادث والأمور فنقول: خطب عظيم أو جليل[11]

وبالنتيجة فإن **الخطاب** هو مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسالة، أو محاضرة، أو تسجيل، أو نص معين، وقد يتعدى الكلام إلى الرموز، وتتنوع أشكاله فمنه اللفظي الذي يستخدم اللغة كأداة له، وغير اللفظي الذي يستخدم العلامات والإشارات والإيحاءات، ويأتي هذا المصطلح مرادفاً لكلمات كثيرة كالكلام، واللغة، والرسالة، والحديث، والأطروحة، والنصّ، والقول، والسرد، ويعرّفه البعض على أنّه رسالة يقدّمها مرسل، ويستقبلها متلقٍ.

- في المعجم الغربي

يذهب البعض[12] إلى أنه بالرغم من انتماء مفهوم الخطاب إلى حقل اللسانيات، فإن جذوره **اللغوية** ترجع إلى اللوغوس Sogol الإغريقي، حيث حدد معناه سواء باعتباره اسما مشتركا أو باعتباره مفهوما فلسفيا. إن الخطاب حسب تصور أرسطو هو ترتيب وتمفصل لوحدة جدلية مستمرة وقابلة للعزل في الآن نفسه. يحدد هذا التعريف جانبين أساسيين ومؤسسين لشروط وجود الخطاب يتمثلان في التلاحم وتمفصل الأجزاء. وإذا عدنا إلى الموسوعة العالمية[13] نجد فيها ربطا بين الكلمة الانجليزية discours والكلمة اللاتينية discursus التي كانت تعني " جرى هنا وهناك ". هذه الكلمة مأخوذة من الفعل اللاتينيdiscurrere. إذا سلمنا بهذا الربط يمكن وصف الخطاب بأنه "جري" من متكلم إلى سامع أو قارئ. تقدم الموسوعة تفسيرا يرتكز على هذا الجذر،مفاده أن الخطاب هو كل ما ينطلق من ملكة الكلام بمعنى قال وتكلم. يتضمن هذا التحديد حسب إشارة بعض الباحثين[14] الغربيين في اللسانيات بعد " إجراء التلفظ " الذي عبره يحقق المتكلم اللغة في كلام. لذلك نلاحظ هذا الانتقال من معنى "جرى هنا وهناك " إلى معنى " تكلم طويلا."

إن هذا المعنى قريب من المعنى الذي نجده في قاموس كولان الانجليزي الذي يعرف الخطاب بأنه:" تواصل كلامي، سواء كان حديثا أو حوارا." أما قاموس أكسفورد الانجليزي[15]، فيربط الخطاب بحقل تحليل الخطاب الذي يعتبره: " طريقة تحليل النصوص أو التلفظات الأكبر من الجملة، مع الأخذ بعين الاعتبار محتواها اللغوي وسياقها السوسيو- لغوي."

- في الاصطلاح:

هنا أيضا اختلف تعريفات اللسانيين الغربيين للخطاب بحسب خلفياتهم المعرفية والمدرسة اللسانية التي ينتمون إليها إلا أننا سنأخذ نموذجا واحدا يتمثل في تعريف هاريس(Haris) الذي يقول بأن الخطاب هو"ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[16] أي يشكل الخطاب بواسطة مجموعة من الجمل والمتتاليات المترابطة أو المتسلسلة والتي تتوزع بانتظام في بنية لغوية.

2 - الحيثية المعرفية:

من خلال ما سبق يتبين لنا كما تذهب إليه الدكتورة ربيعة العربي[17] أن هناك حيثية معرفية بين النص والخطاب يجب الاشارة إليها وتتمثل في كيفية معالجة مفهوم النص والخطابحيث أننا نجد توجهين اثنين: الاول يميز النص عن الخطاب والثاني يرادف بينهما.

3- أختلاف معنى النص عن معنى الخطاب:

أدى اهتمام اللسانيات بالإجراء التواصلي وبتجسيده إلى ظهور تحديدات عديدة للنص في علاقته بالخطاب حيث تختلف هذه التحديدات باختلاف التوجهات النظرية وأهداف التحليل. وهو الأمر الذي جعل من التفريق بين النص والخطاب معطى بديهيا في علوم اللغة وخاصة في فرنسا، وذلك في حقول معرفية مختلفة، سواء تلك التي تشتغل بتحليل الخطاب أو تلك التي تشتغل في إطار السيميائيات المنبثقة

من أعمال بعض اللسانيين[18]. في هذا الإطار من الباحثين[19] من يقيم تمييزا بين النص والخطاب انطلاقا من صيغة التعبير، التي تحدد ماهيته باعتباره لفظا، أي نتاجا، كما تحدد ماهية الخطاب باعتباره إجراء وتلفظا يخول للنص أن يتحول إلى خطاب. ومن ثمة يصبح النص مادة خاما، إنه مضمون أو ملفوظ قابل لأن يتجسد في خطاب. إن استحضار البعد المنطوق في علاقته بالبعد المكتوب نجده واردا أيضا عند باحثين لسانيين آخرين[20] في تحديدهما للنص حيث يرون أن الاختلافات بين هذين البعدين لا تقف عند مستوى صيغة التعبير، ولكن تتجاوزها إلى الاختلاف في أنماط السياقات اللغوية والاجتماعية التي تتأسس الدلالة في إطارها وأشكال المهارات المفعلة في كل من نمطي التعبير

4– ترادف معنى النص ومعنى الخطاب:

إذا كان بعض اللسانيين- كما ذكرنا أعلاه- قد ركز على البعد المكتوب والمنطوق في الفصل بين الخطاب والنص، فإن هذا المعيار لا نجده واردا عند أطراف أخرى[21]، حيث يعتبرون كل متوالية متلاحمة تشكل نصا، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، وبذلك يكون المعيار المحدد للنص هو التلاحم، الذي يؤسس على نمطين من العلاقات:- العلاقات الإحالية بين الوقائع في عالم ممكن، لأن الخطاب لا يكون متلاحما في المجرد وإنما يكون متلاحما بالنظر إلى وضع سوسيو ثقافي محدد.